العرب
الخميس 2020/01/23
السنة 42 العدد 11595

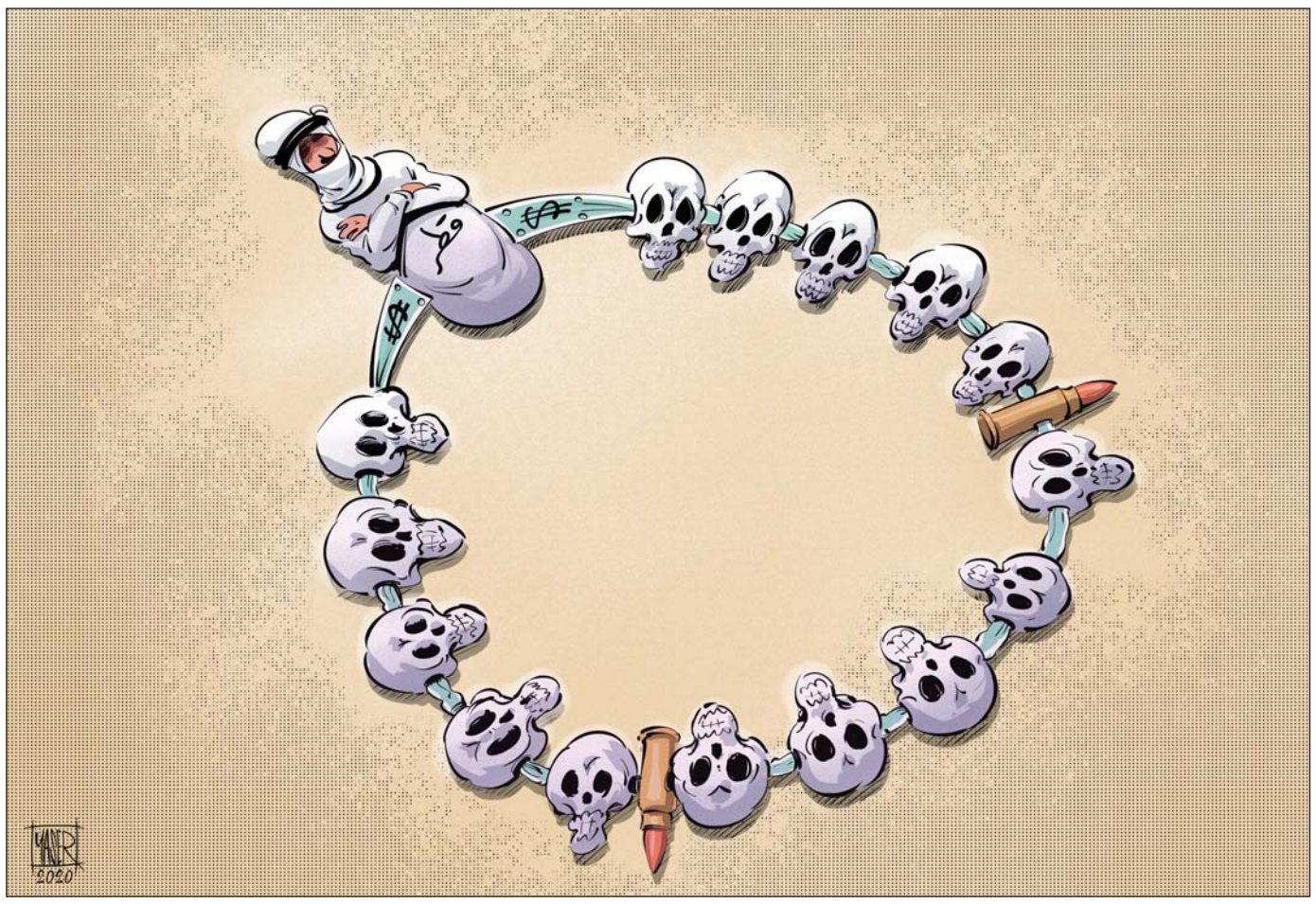

حبيب القاتل ونصير القتيل

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

ثلاثة أخبار قطرية تجدد لنا الدوحة بأمر هذه الدوحة. الأول هو فشل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في فرض قطر على مؤتمر برلين الخاص بليبيا، والرفض القاطع من قبل ألمانيا والمبعوث الدولي إلى ليبيا غسان سلامة لدعوتها، في حين حضرت دولة الإمارات العربية المتحدة، ونشطت، ونجحت مع مصر في إحداث تقدم مهم في توجهات المؤتمر.

ليس هذا وحسب، بل إن الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي ودول أوروبا الرئيسية الفاعلة الحقيقية في المؤتمر قد تعهدت بمنع إرسال مقاتلين وأسلحة (تركية طبعا) إلى ليبيا، وبمعاقبة الدولة التي لن تتوقف عن التدخل في الحالة الليبية، (قطر طبعا)، تسليحا أو تمويلا.

والحقيقة أن خسارة أردوغان في مؤتمر برلين ليست سياسية وعسكرية فقط، بل هي خسارة مالية أيضا. فسقوط مشروعه الليبي المعتمِد كليا على التمويل القطري لشحنات الأسلحة وضباط المخابرات التركية، والمرتزقة السوريين، يعني أن خزانته المنهكة لن تستفيد من أطنان الأموال القطرية التي كان سيحصل عليها ولا ينفق منها على حكومة فايز السراج والميليشيات والمرتزقة إلا ربعها أو أقل.

كما أنها، من ناحية أخرى، فضيحة مجلجلة لأمير قطر، الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، الذي كان يظن أن أمواله التي ينفقها في ليبيا سوف تجعله لاعبا مهما في تقرير المستقبل الليبي لن يستطيع أحد تجريده من سطوته، ذات يوم.

والخبر الثاني بشقين، الشق الأول عن التبرع "الأخوي" القطري لإيران بمبالغ تعويضات الطائرة الأوكرانية المقصوفة عمدا بصاروخين.

وشقه الثاني مبادرة الشيخ تميم إلى الاتصال برئيس جمهورية إيران حسن روحاني فور سماعه بمقتل قاسم سليماني للتعزية ولتجديد التضامن، حسب إعلان الرئاسة الإيرانية ذاتها.

وهنا يكمن العجب العجاب. فكيف يستطيع حاكم في بقعة ضائعة على الخارطة هي كلها قاعدة أميركية أن يكون حبيب القاتل دونالد ترامب، وحليف المقتول قاسم سليماني، ونصير أهله وأتباعه المنادين بالثأر لدمه من كل أميركي، وإن طال الزمن؟

أما الخبر الثالث فهو إقامة المصور الصحافي الأميركي، ماثيو شراير، دعوى قضائية ضد بنك قطر الإسلامي لتمويله جبهة النصرة، الموالية لتنظيم القاعدة، والتي اختطفته في سوريا عام 2012، بينما كان يحاول عبور الحدود إلى تركيا.

يقول ماثيو، الذي احتجز 211 يوما قبل أن يتمكن من الهرب، إن بنك قطر الإسلامي جمع تبرعات لخاطفيه. وفي حديث لقناة فوكس نيوز الأميركية، وصف المولين بأنهم "يؤيدون هتلر ويوسف القرضاوي".

وقال إن بنك قطر الإسلامي سمح للمواطن القطري، سعد الكعبي، باستخدام حساباته للحصول على أموال من أجل "نصرة أهل الشام".

إذن هذه هي قطر التي تغرف من عوائد الغاز أطنانا من الدولارات، ولا تنفقها على دعم الدول العربية الفقيرة بإقامة المستشفيات والجامعات والمصانع والبناء والإعمار، بل فقط على شبكات التخريب والقتل والحرق والتعذيب والاغتيال في عشرات الدول ومئات المدن المنكوبة بها وبأموالها في الشرق الأوسط والعالم، وهي عقيدتها وسياساتها المعلنة الثابتة منذ زمن طويل.

إذن، كيف تكون خافية على أجهزة مخابرات الدول الكبرى، وخاصة على الـ"سي.آي.أي" الأميركية التي تقرأ المحيّ؟

أي سر وراء سكوت الأميركيين عن العلاقات الحميمية بين قطر وبين أنظمة حكم وأحزاب وميليشيات يُفترض أنها عدوتهم التي يقاتلونها بالعقوبات وسياسات الخنق السياسي والعسكري

ثم أي سر وراء سكوت الأميركيين عن العلاقات الحميمية الحديدية بين قطر وبين أنظمة حكم وتنظيمات وأحزاب وميليشيات يُفترض أنها عدوتهم التي يقاتلونها بالعقوبات الاقتصادية وسياسات الخنق السياسي والعسكري، دون هوادة؟

ثم كيف تكون هذه السياسات والعلاقات بردا وسلاما على الإدارات الأميركية المتعاقبة التي عوّدت العالم على عدم صبرها على من يتحالف مع أعدائها ولو بكلام الجرائد والإذاعات والفضائيات؟ رغم أن تحركات قطر وأفعالها ليست كلامية، بل هي مليارات تحولها من حساباتها بالدولار الأميركي في أميركا إلى إيران وتركيا، ومنهما إلى بؤر الإرهاب؟

والأغرب من الغريب، والأعجب من العجيب عن دولة قطر أنها، رغم كل هذه الأنشطة "الجهادية" المخلّة بالأمن والسلم الدوليين، والمخالفة لقرارات الأمم المتحدة كلها، مدللة ليس لدى ترامب وحده، بل كانت مدللة أيضا لدى باراك أوباما، وقبله لدى جورج بوش الابن، وهو أمر لا يحتاج إلى قرائن وبراهين.

ثم كيف لا يكون مؤلما للجمهوريين خصوصا، ولترامب شخصيا، أن يجاهر الشيخ تميم بعلاقاته المالية والعسكرية والسياسية والثقافية والتجارية مع الولي الفقيه، ومع رئيس جمهوريته حسن روحاني، ومع رجب طيب أردوغان، ويوسف القرضاوي، وقادة الإخوان المسلمين، وميليشيات هادي العامري ونوري المالكي وقيس الخزعلي، وحسن نصرالله، وإخوان غزة، والحوثيين، والميليشيات الليبية التي تقاتل جنبا لجنب مع تنظيم داعش الليبي، ومع كل من يكره أميركا، ويعلن أن واجبه الديني والدنيوي هو سفك دماء جنودها وضباطها ومواطنيها العاديين، تقربا إلى الله ورسوله والمؤمنين؟

ترى، لماذا، إذن، والحالة هذه، لا تقتدي بالمصور الصحافي الأميركي، ماثيو شراير، الآلاف من أسر الشهداء والمخطوفين والجرحى والمهجرين والمتضررين بجرائم الريال القطري في سوريا ومصر وليبيا وفلسطين والعراق ولبنان والأحواز العربية والإسكندرون السورية، وفي أوروبا وأميركا، والهند والسند، فتقيم الدعاوى القضائية مطالبة بمحاكمة تميم وكبار أعوانه ومستشاريه بتهم القتل والحرق والاختطاف والاغتيال ونشر الإرهاب وتمويل الإرهابيين، والتستر عليهم، ومنحهم الأمن والأمان؟

انتهازيات صغيرة

علي الصراف
كاتب عراقي

على ضخامة ما يحدث في مجلس الشيوخ الأميركي، فإنه تعبير عن انتهازيات صغيرة. الجريمة ومحاكمتها معا.

الرئيس دونالد ترامب لم يتعد في "جريمته" حدود أن يلاحق غريما سياسيا بالسعي للحصول على معلومات قد يمكنها أن تدينه. الغرض صغير. ولكن الصورة عنه تضخمت لأن أغراضا صغيرة أخرى اعترضت الطريق.

عرض تقديم معونات لأوكرانيا، وطلب الحصول على "خدمة" (التحقيق مع نجل جو بادين في قضايا فساد محتملة). ولكن لا المعونات توفقت، ولا الخدمة قُدّمت.

الديمقراطيون لم ينسوا هزيمتهم أمام ترامب في انتخابات العام 2016. هيلاري كلينتون فازت بالتصويت الشعبي بفارق ثلاثة ملايين صوت، إلا أنها خسرت تصويت المجمعات الانتخابية التي تمثل الولايات الخمسين. أرادت أن تكون أول رئيسة للولايات المتحدة. وكانت تشعر بقوة أنها تستحق ذلك بالنظر إلى خدمتها كوزيرة للخارجية في عهد باراك أوباما، ولأنها أمضت ثماني سنوات سيدة أولى في عهد الرئيس بيل كلينتون، مما أتاح لها الفرصة لتعرف الإدارة من داخلها، أفضل من أي امرأة أخرى في الولايات المتحدة.

كلينتون امرأة جسورة وصلبة، ولكنها ليست من دون انتهازياتها الخاصة. تغاضيها عن "خيانة" زوجها مع مونيكا لوينسكي، بل وتضامنها معه عندما حوكم من أجل عزله، كان أمرا مدفوعا، فحسب، بحلمها الخاص بالرئاسة. لم تشأ أن تثقب القارب مع بيل، لكي لا تغرق صورتها معه.

أخطاء أخرى من قبيل استخدام الإيمايل الشخصي في مراسلات وزارة الخارجية، وتعثر التحقيقات في مقتل السفير الأميركي في طرابلس عام 2012، وتواطؤها مع إيران إلى الحد الذي بدد كل ما خسرته الولايات المتحدة من أجل الهيمنة على العراق، بل وتساهلاتها التي أدت إلى توقيع اتفاق نووي مع إيران يسمح لطهران بأن تتحول إلى قوة مهيمنة في المنطقة، كل ذلك كان مدفوعا بقائمة انتهازيات تقصد البحث عن نجاحات خارجية مزيفة، تبرر السعي إلى الرئاسة.

الحلم تبدد على أي حال، مع صعود نجم شعبوي، غارق بالمثالب الشخصية، مثل دونالد ترامب، إلا أنه امتلك الشجاعة للكشف عن انتهازيات كلينتون كلها، حتى بلغت به الجرأة إلى التهديد بسجنها على ما ارتكبته من أخطاء.

تصوّر ترامب عن المرأة يناسب تماما التصور المسيحي المحافظ في الولايات المتحدة، ولو مع زيادة ماجنة. وهي زيادة لم تغير كثيرا من موقف ناخبيه منه. ومع اتساع تأثيرات العولمة الاقتصادية ومخاطرها الاقتصادية على الطبقة العاملة الأميركية، فقد كان لشعار "أميركا أولا" أثر كاسح، حتى في الوسط التقليدي لناخبي الحزب الديمقراطي.

وحدها الانتهازيات الصغيرة هي التي سمحت للرئيس ترامب بأن يلعب على الوتر الحساس لدعوة الشركات الكبرى إلى أن تغلق مصانعها في الخارج، وبأن يخوض حربا تجارية ضد الصين، وبأن ينكر تأثيرات التغير المناخي. كل ذلك من أجل ألا يخسر القاعدة الشعبية التي اكتسبها في فوزه المفاجئ.

الديمقراطيون اندفعوا إلى اليسار، لتزداد عزلتهم مع بقاء بيرني ساندرز صوتا عاليا. وسقطت كلينتون ضحية الاكتئاب. ولكنها لم تنس الهزيمة، ولا ثقل وطأتها، ولا تراجعت حدة أحقادها الشخصية ضد ترامب.

الجمهوريون وإن هزموا في انتخابات الكونغرس في نوفمبر 2018، فخسروا الأغلبية في مجلس النواب، إلا أنهم حافظوا على تماسكهم في مجلس الشيوخ. نصف النصر ونصف الهزيمة هذان، أقنعا الطرفين بأن انتهازياتهما يمكن أن تكون مفيدة.

محاكمة ترامب، تجسيد تام لكل تلك الانتهازيات. ونتيجتها لن تخرج في النهاية، إلا بانتهازيات أشد وضوحا. فالجمهوريون لن يتخلوا عن رجلهم اليوم، مثلما لم يتخل الديمقراطيون عن رجلهم عام 1999

الديمقراطيون ركزوا هجماتهم على فضائح ترامب الشخصية، فحركوا ضده فعاليات المجتمع المدني من النساء خاصة، اللواتي ساد الافتراض بينهن أن وجوده في الرئاسة إهانة. كما سعوا إلى استغلال فظاظته في التخاطب مع نظرائه في الحلف الأطلسي الذين طالبهم بأن "يدفعوا أكثر" لقاء حماية الولايات المتحدة لهم. إلا أن ذلك غالبا ما كان له تأثير عكسي. المجتمع الأميركي فظ، عندما يتصل الأمر بمصالح الولايات المتحدة، وموقفه من المرأة ليس يساريا إلى ذلك الحد الذي يمكنه أن يهز صورة ترامب.

كلا طرفي الانتهازية ظل يبحث عن مأخذ. ترامب أراد أن يفضح منافسا محتملا باتهامات فساد، فانقلبت الوسيلة الأوكرانية إلى مأخذ مضاد.

محاكمة ترامب، تجسيد تام لكل تلك الانتهازيات. ونتيجتها لن تخرج في النهاية، إلا بانتهازيات أشد وضوحا. فالجمهوريون لن يتخلوا عن رجلهم اليوم، مثلما لم يتخل الديمقراطيون عن رجلهم عام 1999.

بقي، هل يمكن لهذه الصفحة أن تنطوي مع انتهاء المحاكمة؟ الجواب الأرجح، لا. سوف تسقط البرامج الكبرى، لتنتصر حرب الانتهازيات الصغيرة ولتكون هي القوة التي تحرك انتخابات نهاية هذا العام.

نقاط الجبير على حروف بروكسل

عمر علي البدوي
كاتب سعودي

زار وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية عادل الجبير البرلمان الأوروبي، ليلقي المزيد من الضوء على جهود السعودية في بعض ملفات المنطقة ويفك اشتباك الفهم المعقد لأدوارها وخياراتها، تحت قبة واحد من أهم البرلمانات المؤثرة في العالم، في سياق سعي سعودي جاد لدعم مسيرة المملكة لإرساء دعائم الاستقرار في منطقة طالما استنزفتها الفوضى واعتلال الميزان، ولتعميق فكرة أن الدور السعودي، رفقة جيرانها المعتدلين، حيوي في إعادة ضبط الاستقرار وتوثيق عراه ودعم بناه رغم كل الصور النمطية وجهود التشويه التي تغرز دعاياتها المغرضة وتحقن أذهان الشركاء الدوليين حول العالم.

التقى عادل الجبير بأعضاء لجنة الشؤون الخارجية للبرلمان الأوروبي في بروكسل. وكان الحديث فرصة للاستماع إلى وجهة نظر واحدة من عواصم المنطقة المحورية، وهي تمد يدها إلى العالم لإخراج الشرق الأوسط من عتمته، وتبديد سحب القلق التي تخيّم في أفقه وتحجب عنه الرؤية المستقبلية السديدة.

كان حديث عادل الجبير أمام اللجنة الخارجية في البرلمان الأوروبي حازما في بعض المواطن التي تطلبت جدية في الطرح وقطعا مع كل أفكار الوصاية الفجّة التي لا تزال تسكن بعض النخب الأوروبية، وشاملا لموضوعات عدة توضح مسار السياسة الخارجية السعودية، وتفسيرا لبعض الادعاءات الملفقة التي كان المجتمع الدولي يأخذها على عواهنها ويؤاخذ عليها الرياض دون تفحص أو تبيّن، لاسيما وأن الدور السعودي بحيويته وفاعليته سيتعرض لمثل هذا النوع من المحاصرة بالشائعات، والهجوم السافر المثخن بالتلفيقات.

لكن الرياض ومن واقع خبرتها في العمل السياسي وتاريخها الطويل من الشراكة في قضايا المنطقة والتعاون الدولي، والجبير بخبرته السياسية، كانا بالمرصاد للكثير من هذه البالونات المجزأة من القضايا، ومنصة لإلقاء الضوء على الكثير من النقاط التي أشكل فيها الفهم على الصعيد الخارجي. وقال الجبير بهذا الشأن "معلوماتكم حول السعودية مبنيّة على شائعات، ولن نقبل أن يُحاضرنا أحد، فلسنا جمهورية موز".

واسترسل الجبير في حديث كان في الصميم، عن سأم المنطقة من إلقاء المحاضرات عليها والتعامل معها بفوقية، واعتماد سياسة المعايير المزدوجة من حكومات الغرب وإعلامه ومنظمات حقوق الإنسان المشبوهة، وأنه آن الأوان للرد عليهم بمنطقهم وقد انتهى زمن الصمت.

لقد كانت نبرة الحديث حادة وقوية، في واحدة من أكثر نقاط الاختلاف التي تسببت في جرّ المنطقة إلى واد سحيق من الويلات المريرة، وأن تجارب المجتمع الدولي، والغرب على وجه الخصوص، في فرض المعايير التي يعتمدها، أدت إلى الفوضى. حدث ذلك مرتين، على طريقة غزو بغداد لإرساء دعائم الديمقراطية كما رُوج له، وفي دعم عمليات الربيع العربي التي انتهت إلى ما تقاسيه المنطقة اليوم من فوضى واضطراب وقلاقل. وأن ذلك لم يكن ليحدث لولا فجوة الفهم بين الطرفين، والحسّ الاستعلائي الذي تتعامل أوروبا على أساسه، والاعتماد على سرديات جماعات ودعايات حزبية وأيديولوجية، تمارس ألاعيبها في غرف وقاعات العواصم الغربية وتؤثر في خياراتها المتصلة بالمنطقة، وعلى ذلك أن يتوقف بالاستماع إلى عواصم الاعتدال والاستقرار واحترام توجهاتها وطريقتها في النظر إلى الأمور وتسييرها.

إلى جانب ذلك، حمل حديث الجبير في البرلمان الأوروبي ثلاث نقاط جوهرية كان يجب أن تصل إلى أوروبا بمثل هذا الوضوح.

النقطة الأولى أن السعودية دولة ذات سيادة لا تقبل إملاء التوجيهات خصوصا في سيادتها القضائية، رغم كل التجييش والدعاية السوداء التي تتهمها بانتهاكات لحقوق الإنسان، هي في الواقع مكذوبة ولا تتجاوز عرقلة جهود المملكة للحدّ من تغول التطرف وهندسة الاعتدال في بنى المجتمع ومساءلة الثوابت الاجتماعية وفحصها بما يجهز المجتمع لشروط المرحلة النهضوية ويؤسس لنقلتها النوعية في كافة المجالات.

والأمر الآخر، أن إيران هي الراعي الأكبر للإرهاب، وأن المناخ المتخذ حاليا لمعاقبتها كان منتظرا منذ مدة، بهدف إعادة إدماجها في المجتمع الدولي، والحد من سلوكها التخريبي، ولا يهدف إلى إشعال صدام ليس في وسع العالم أن يتحمل تبعاته.

وأخيرا، دور أوروبا المهم اقتصاديا وسياسيا في المنطقة، بدعم فرص استقرار العالم واعتداله، وأن ذلك سيكون يسيرا لو جرى عبر التعامل الصادق مع العواصم التاريخية في المنطقة التي كانت محورا في كل المشاريع الخيرة وسدا منيعا يحول دون انزلاق العالم إلى المزيد من الفوضى ومشاريع الخراب، لقد وضع الجبير النقاط على الحروف.